

الفصل
في سيرة الرسول ﷺ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفصول

في سيرة الرسول ﷺ

تأليف

الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١-٧٧٤ هـ

تحقيق وتعليق

محمد العيد الخطراوي محيي الدين ميتو

مكتبة دار التراث

المدينة المنورة - تليفون ٨٢٢٢٥٢٧

مؤسسة علوم القرآن

دمشق - صرْب ٤٦٢٠

بيروت - صرْب ١١٣/٥٢٨١

هَقْرَو الطبع محفوظة لاسمققين

الطبعة الأولى


١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ

الطبعة الثانية

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

الطبعة الثالثة

١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

مؤسسة علوم القرآن 

سوريا - دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء حولي وصلاحي - صرب ٤٦٢٠ - تليفون ٢٢٥٨٧٧ - بيروت - صرب ١١٣/٥٢٨١

قَالَ اللهُ تَعَالَى :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مُحَمَّدَ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، اَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ اَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْاِنْجِيلِ كَزَرْعٍ اُخْرِجَ شَطَاةٌ فَازْرَعَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْبِهِ
يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَّاجْرًا عَظِيْمًا

| سورة الفتح الآية : ٢٩ |

مُتَدَمَّة الطبعة الثالثة

الحمد لله على نعمه وآلائه . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وأتباعه . .

وبعد :

فمن التحدث بنعمة الله علينا أنه سبحانه كتب لهذا العمل القبول الحسن ؛
فنفدت طبعته الأولى ، وكانت من حيث العدد تماثل طبعتين . ولم يكد الكتاب
يظهر في مكتبات دمشق وبيروت في حلته الجميلة حتى حمله أحدهم صيداً ثميناً إلى
مصر ، وظهرت نتيجة لذلك طبعة مزورة أساءت للكتاب في شكله ومضمونه .

ثم تمت طبعته الثانية ، وهي خاصة بوزارة المعارف السعودية .

ويسرنا اليوم أن ندفع الكتاب إلى طبعته الثالثة في غضون أقل من سنتين ،
وهي تمتاز بزيادات وتصحيحات وفوائد هامة ، استفدناها بعد حصولنا على
نسختين مخطوطتين من المكتبة السليمانية في تركيا ، وقد تأكد لدينا أن اسم
الكتاب في أقدم مخطوطة له هو « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ، وهذا مفيد
جداً لأنه يدفع الالتباس عن الكتاب في أن يكون اختصاراً لكتاب آخر ، وهو
ما أكدناه منذ الوهلة الأولى .

فحمداً لله وشكراً على ما أولى وأنعم . .

المحققان

المدينة المنورة في

١٥ شوال ١٤٠٢ هـ

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيقِ

الحمد لله الذي رسم لنا طريق الخير والنجاة في القدوة برسوله ، فقال في كتابه الكريم : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾^(١) ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي حدّد لنا طريق الحق والهدى فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . ورضي الله عن آله وأصحابه الأبرار ، الذين اتخذوا من سيرة نبيهم مناراً يهتدون به ، وقدوة يغترفون من فضلها ، ويسيرون على نهجها في شؤون حياتهم ؛ فحققوا بذلك مجد الدارين ، وسادوا بإسلامهم وعدلهم جميع العالمين . وبعد : فإن أهمية الكتابة في السيرة النبوية لا تأتي من كونها تسجيلاً لتاريخ ، أو جمعاً لحوادث ، أو كشفاً لجوانب حياة جماعة مرتبطة بزمان ومكان ؛ شأن الكتابة في أي حقبة تاريخية أخرى ، وإنما تأتي الأهمية من كونها حديثاً صادقاً عن رسالة سماوية طاهرة ، أراد الله لها أن تكون خاتمة الرسالات ، وناسخة الديانات ، وأن تكون الرسالة الكاملة الخالدة التي تقدم للإنسانية مفاتيح سعادتها ، وتضمن لها تسديد خطواتها على طريق الرقي والتطور والتحضر ، الذي يكفل لها غناء الفكر وسلامة الجسم وحيوية الروح ، ويهيء لها الحياة الكريمة الموصولة بأسباب الأرض وعناية السماء والمجتمعة فيها جهود المخلوقين على تقدير نعمة الخالق ، واستغلال ما سخر لهم فيما حولهم من عناصر الحياة أتم استغلال ، قال الله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا

(١) الأحزاب : ٢١ .

وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب
المفسدين ﴿١﴾ .

وقد كانت شخصية صاحب الرسالة محمد بن عبد الله ﷺ نموذجاً كاملاً
لتنفيذ شرعة الله ، عصمه من كل هوى ، وحفظه من الخطأ والنسيان فيما بلغ
عنه ، وجعل سيرته تبيانا للقرآن وتجسيدا لواقع الإسلام ؛ روى مسلم عن سعد بن
هشام قال : أتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ، أخبريني بخلق رسول الله
ﷺ ؟ قالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ القرآن ؟ ﴿٢﴾ وإنك لعلی خلق
عظيم ﴿٣﴾ .

كما جعل اتباعه دليل محبته تعالى ، وجعل طاعته مقرونة بطاعته : ﴿٤﴾ قل
إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴿٥﴾ قل أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ﴿٦﴾ .

والارتباط قائم ووثيق بين القرآن الكريم والسيرة النبوية ، ذلك أن السيرة
احتوت على السنة الفعلية والقولية ، والتقريرية والوصفية ، التي بينت وفسرت
للناس ما نزل إليهم ﴿٧﴾ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴿٨﴾ .
وكثير هي الآيات التي لا يمكن للمسلم أن يفهمها على وجهها الصحيح إلا من
خلال وقائع السيرة وحوادثها ، وعلى سبيل المثال نذكر من ذلك ما نزل من سورة
الأنفال وصفاً لغزوة بدر الكبرى ، ومنها قوله تعالى : ﴿٩﴾ وما رميت إذ رميت

(١) القصص : ٧٧ .

(٢) القلم : ٤ .

(٣) آل عمران : ٣١ .

(٤) النور : ٥٤ .

(٥) النحل : ٤٤ .

ولكن الله رمى ﴿^(١)﴾ . وكثير من الآيات كانت أسباب نزولها مشاهد من السيرة ، لا يستغني عن الإمام بها مفسراً يستنبط حكماً ، أو يتعرف على مقصد من مقاصد القرآن ، وأوضح مثال على ذلك زواج النبي ﷺ بزَيْنَب ونزول قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكونَ على المؤمنين حرجٌ في أزواجٍ أدعيائهم إذا قضاوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ ^(٢) .

ولذلك كان المسلمون مدعويين في جميع العصور لبيان هذا النموذج الإنساني الكامل ، المتمثل في شخصية النبي ﷺ سلوكاً وعطاءً فكرياً زاخراً لا ينضب ، وبخاصة في هذا العصر الذي يعيش صراعاً فكرياً هائلاً ، تعمى فيه السبل وتختلط الأمور . وإذا كنا نؤمن بأنه لا بد من الفكر في حياة الإنسان السوي ، لتوفير أسباب الرخاء والحياة السعيدة ؛ فإن ارتباطنا بهذا الفكر يصبح ضرورة لا محيد عنها ؛ إذا كان هذا الفكر ربانياً ؛ نابعاً من وحي الله ، ومستمداً من سيرة نبيه المعصوم صلوات الله وسلامه عليه . وتزداد هذه الضرورة إلحاحاً كلما ابتعد المسلمون عن التأسي بسيرة نبيهم ، وتنكبوا سبيل الحق في السلوك الإسلامي الراشد ، ووقعوا في غائلة الجهل والتقليد . وكلما أحسننا بازدياد حملات الحقد يدبرها أعداء الله ضد الإسلام والمسلمين في صورة غزو فكري مركز ، يستهدف تشويه النموذج ، والتشكيك في صلاحيته وملاءمته لواقع حياة الإنسان المعاصر ، ويعمل جاهداً على قطع الصلة بين هذه الأمة وتراثها وجذورها ، وإسدال ستار كثيف بينها وبين أمجادها ، حتى لا تعود إلى سابق عهدها من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ؛ لأن أعداء الله وأعداء هذه الأمة المسلمة يعلمون أن الإسلام إذا عمر القلوب وأشرق في النفوس رفضت الذل والصغار ، وحملت راية الجهاد في سبيل الله من جديد ، وتطلعت الأمة إلى مكانها الطبيعي بين الأمم ، وهو مكان

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) الأحزاب : ٣٧ .

الصدارة والقيادة ، تقف في أول الركب الإنساني تدعو إلى دين الله ، وتهدى البشرية التائهة ، وتجمعها على أسس ربانية ، وعدالة إلهية ، ووحدة حقيقية ، لا مكان فيها لوجودية مارقة ، أو عنصرية فاسدة ، أو مادية ملحدة مستعبدة للأهواء والشهوات . ولما لهذه السيرة النبوية من أهمية عظيمة في تربية الفرد وبناء شخصية الأمة على نهج رباني قويم ، رأينا أن تقدم لأبناء أمتنا هذا الكتاب ، الذي كتبه عالم جليل ، انتقاه مما وصله من كتب السيرة أعلاها وأسناها ، وأدقها خبراً وأوثقها رواية ؛ بغية أن يبعث في أهل عصره روح العزة والكرامة ، ويدفعهم إلى التأسي بحياة الرسول وصحبه الكرام في الصبر والمصابرة ، والتمسك بالحق ، والاعتصام بمجبل الله في مواجهة أعداء الله من الفرنجة والتتار . وما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أحوجنا اليوم إلى تحقيق ذلك الهدف ، وبلوغ تلك الغاية الشريفة ، وهذا ما تشوفت إليه نفوسنا حينما ظفرنا بمخطوطة هذا الكتاب ، واستصغرنا إلى جانبه كل جهد نبذله فيه ، وأخلصنا وجهتنا لله تعالى ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

وأمنيتنا الغالية أن نوفق في الفقرات التالية إلى رسم صورة واضحة عن وصف المخطوطة ، وعملنا في تحقيقها ، وبيان أسلوب ابن كثير ، ومنهجه ، وموارده ، في كتابه هذا .

١ - وصف النسخ المخطوطة :

أ - نسخة مكتبة عارف حكمة ، ورمزنا إليها بحرف « أ » : وهي نسخة محفوظة بمكتبة عارف حكمة في المدينة المنورة باسم « الفصول في اختصار سيرة الرسول » للحافظ عماد الدين بن كثير وبرقم ١١١ / ٢٤٢ السيرة النبوية ، كتبها حسن بن الحاج رمضان الخطيب الأيوبي سنة ١١٠١ هـ ، وتقع في ١١٢ صفحة ،

وعدد أوراقها ٥٦ . والخط فارسي واضح ، وكُتبت بالحبر الأسود ، ما عدا كلمة « فصل » وأوائل بعض الفقرات ، فإنها كُتبت بخط الثلث وبالحبر الأحمر . وقد حرص الناسخ على أن يكون المكتوب في كل صفحة ٢٥ سطراً ما عدا الصفحة الأولى والأخيرة ، وضمن مساحة محددة هي ١٥ × ٧,٥ سم بينما قياس الصفحة ٢٠ × ١٣ . وفي الربع الأول من المخطوطة تقريباً توجد على هامش بعض الصفحات تعليقات طفيفة : بعضها كُتبت بنفس الخط والحبر ، لتصحيح كلمات وردت في الأصل خطأ أو غير واضحة . وبعضها كُتبت بخط وحبر مختلف ؛ لشرح بعض الكلمات الغريبة من القاموس المحيط . وبعضها كُتبت باللغة التركية . وكل صفحة تنتهي بكلمة ترشد إلى بدء الصفحة التي تليها ، وفي أعلى الصفحات - من الربع الأول أيضاً - مسح ناتج عن وصول الماء إليها ، وقد عانينا مشقة وعسراً عند نسخها ، وعلمنا من فضيلة رئيس مجلس الأوقاف بمنطقة المدينة المنورة والمشرف على فروع وزارة الحج والأوقاف السيد حبيب محمود أحمد : أن العثمانيين في أواخر حكمهم للحجاز عام ١٣٣٤ هـ نقلوا الأشياء الثمينة من الحجرة الشريفة إلى استانبول ، ونقلوا موجودات مكتبة عارف حكمة إلى دمشق تمهيداً لنقلها إلى استانبول أيضاً ، ولكن الطرق أغلقت أمام القوات العثمانية بسبب الحرب العالمية الأولى فبقيت الكتب في الشام ثم أعيدت إلى المدينة المنورة عام ١٣٣٧ هـ وكانت قد وضعت هناك في تكية السلطان سليم ، وفاضت مياه نهر بردى القريب من التكية في شتاء إحدى تلك السنوات الثلاث ، ووصلت المياه إلى صناديق الكتب ، وتسببت في مسح بعض الأسطر واختلاط الحبر ، وتغيير لون الورق في بعض الكتب والمخطوطات ، ومنها مخطوطتنا هذه .

والمخطوطة مجلدة بتجليد فني جيد ومذهب ، وتوضع في غلاف خارجي ذو لسان وشريطة ، لإخراجها من غلافها .

أما صورة الختم الموجودة على الصفحة الأولى ، وفي موضعين آخرين منها ،

فهو الختم المميز لجميع كتب المكتبة المخطوط منها والمطبوع ، ولدى التدقيق تبين أن الختم قد حفرت عليه الكلمات التالية :

« مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ، في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله أتم الصلاة والتسليم بشرط أن لا يخرج عن خزائنه ، والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ هـ » .

ب - نسخة مكتبة السليمانية (آيا صوفيا) ورمزنا إليها بحرف « ب » :
رقمها ٣٣٣٩ ، كتبها سليمان المدني سنة ٧٨٤ هـ في ١١٥ ورقة ، ٢٢٩ صفحة في كل صفحة ١٧ سطراً ، والخط فيها فارسي واضح ، وكتبت بالحبر الأسود ، ما عدا كلمة « فصل » وأوائل الفقرات فإنها كتبت بخط الثلث وبالحبر الأحمر .

وعلى هامش بعض صفحاتها تعليقات كتبت تحت عنوان « حاشية من أصل المؤلف بخطه » وقد حرصنا على استدراك هذه الحواشي في هامش الكتاب لما فيها من الفوائد الهامة . وهناك حواش منقولة من بعض كتب السير والرجال ، وهذه ضربنا الصفح عنها ؛ لاحتمال أنها من إضافات النساخ أو القراء الذين تملكوا النسخة .

ومن الملاحظ أن الأوراق من ٤٩ - ٥٨ ومن ١١٢ إلى ١١٥ قد قُدت من هذه النسخة ، وأن بعضهم عوّض عنها أوراقاً أخرى يظهر فيها اختلاف الخط واختلاف عدد الأسطر حيث يتذبذب بين ١٤ - ٢٨ سطراً في الصفحة الواحدة ، كما اشتملت هذه الأوراق على زيادات وصل بعضها إلى حد الاضطراب ، ونقص بعضها عما في نسخة « أ » . وقد ترجح لدينا بعد حصولنا على نسخة خطية ثالثة للكتاب أن الزيادات الواردة في هذه الأوراق كانت في الأساس تعليقات وشروح على الهوامش أدخلها الناسخ في صلب كلام المؤلف ، متوهماً أنها منها ، ولذلك ضربنا عنها صفحاً والتزمنا في جميع هذه الصفحات بالنص الوارد في « أ » و « ج » لوضوحها وبعدها عن المظنة .

ج - نسخة مكتبة السليمانية (حضرت خالد) ورمزنا إليها بحرف « ج » :
رقمها ٥٩ ، كُتبت سنة ٨١٣ هـ في ٦٢ ورقة ، وعدد صفحاتها ١٢٤ في كل صفحة
٢١ سطرًا ، والخط فيها فارسي واضح ، وكتبت بالحبر الأسود ما عدا كلمة
« فصل » وأوائل الفقرات فإنها كتبت بخط الثلث وبالحبر الأحمر . وفي هامش
بعض الصفحات تصحيح لكلمات كُتبت خطأ ، واستدراك لبعض الكلمات التي
نسخها الناسخ سهواً . وعلى صفحتها الأولى ما يدل على أنها من أوقاف الحرمين
الشريفين ، وقفها السلطان محمود خان .

ونحن نرجح - وبعد مقارنة دقيقة - أن هذه النسخة هي الأصل لنسخة
عارف حكمة التي اعتمدها كأصل في طبعة الكتاب الأولى ، ولا زلنا نعتمدها في
هذه الطبعة لأنها متفقة تماماً مع أصلها ، وحفاظاً منا على هيكل الكتاب من
حيث الشكل والإخراج .

٢ - عملنا في الكتاب :

بدأت رحلتنا مع كتاب « الفصول في اختصار سيرة الرسول » بتصفح عفوي
لكتاب « المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة » لعمر رضا كحالة ، حيث لفت
نظرنا موضوع الكتاب ومؤلفه الحافظ عماد الدين بن كثير ، وكنا نعتقد أنه
لا يوجد لابن كثير في السيرة النبوية غير ما جاء في كتابه « البداية والنهاية »
والذي استله مصطفى عبد الواحد منه ، وأخرجه في أربعة أجزاء باسم « السيرة
النبوية » وبالرجوع إلى مقدمته وجدناه يقول :

« لقد كان الخيط الذي أمسكنا به هو أن ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب
في قصة غزوة الخندق ، أنه قد كتب السيرة النبوية مطولة ومختصرة . . . ومعنى
ذلك أن كتابته للسيرة النبوية قد عرفت طريقها إلى أيدي الناس في عصره ،
ولكن البحث في ناحية المخطوطات لم يدل على وجود تلك السيرة ككتاب

مستقل ، ويبدو أنه حينما ألف كتابه الضخم « البداية والنهاية » قد أدمج تلك السيرة فيه . . . »^(١) .

وقال عند ذكر كتبه : « ٩ - السيرة النبوية مطولة ومختصرة ذكرها في تفسير سورة الأحزاب في قصة غزوة الخندق . ولم تشرق قبل »^(٢) .

ودلل سكوته عن السيرة المختصرة أنه لم يرها مخطوطة ولا مطبوعة فحسبنا أنها فرصتنا لخدمة كتاب في السيرة النبوية لعالم جليل معروف بالدقة والتثبت ، والتحيص ، والاعتماد على الآثار الصحيحة ، في رجاحة عقل ، وجلاء فكر ، ونصاعة بيان . وزادنا حاجي خليفة في كشف الظنون يقيناً بأن لابن كثير مثل هذا الكتاب . وحينما رجعنا إلى فهرس مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة وجدنا الكتاب ضمن كتب السيرة برقم ١١١ / ٢٤٢ ، وبعد قراءة بعض فصوله وتصفح موضوعاته تأكد لدينا من خلال أسلوبه أهميته ، ولم يبق لنا أي مجال للشك في أن هذه السيرة النبوية المختصرة من تأليف إسماعيل بن كثير نفسه ، ذلك أن المترس بأسلوب ابن كثير ، والعارف بمنهجه في كتبه - وخاصة في التفسير والتاريخ - يجزم بنسبة الكتاب إليه ، حتى ولو خلا من ذكر اسمه على غلاف الكتاب .

وقد وجدنا من وجيه المدينة المنورة ورئيس مجلس الأوقاف فيها السيد حبيب محمود أحمد ما سهل لنا نسخ المخطوطة ، وتصويرها ، كما شجعنا - حفظه الله تعالى - على تحقيق الكتاب وإخراجه بصورة لائقة .

وبعد الفراغ من نسخه وضعنا خطة مدروسة لعملنا ، وفي الوقت نفسه حرصنا على أن نحصل على مخطوطة أخرى أو أكثر لنفس الكتاب ؛ رغبة منا في

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٢ .

(٢) المصدر السابق : ١ : ١١ .

أن يظهر العمل بصورة علمية متكاملة من جميع الوجوه . فبحثنا في مجموعة الفهارس المتوفرة في الجامعة الإسلامية لبعض المكتبات الشهيرة ؛ كدار الكتب المصرية بالقاهرة ، والمكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبة وزارة الأوقاف ببغداد ، ومكتبة وزارة الأوقاف بالرباط ، ومكتبة الكتاني بالرباط . . فلم نعثر فيها على اسم لهذا الكتاب ، وكتبنا إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، فجاءنا الرد بعدم وجوده بين مخطوطات المعهد . وكلفنا أحد الأصدقاء بالقاهرة أن يبحث لنا عنه في المكتبات العامة والخاصة ، فجاءنا رده بعد مدة ، وبعد أن قطعنا في المقابلة والعمل شوطاً كبيراً ؛ أنه لم يجد للكتاب نسخة مخطوطة ، ولكنه وجده بهذا الاسم « الفصول في اختصار سيرة الرسول » في قسم المطبوع بدار الكتب المصرية درج رقم (١٠٨) حرف (ب) رقم الكتاب ٢١٤١٦ و ٢١٤١٧ ، وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ في مطبعة العلوم . فكانت مفاجأة فترت لها عزيمتنا ، وكدنا أن نتوقف عن العمل اعتقاداً منا أننا لن نأتي بجديد ، ما دام الكتاب قد طبع ، ولكن عز علينا أن تذهب جهودنا التي بذلناها في معالجة الفصول الأولى من الكتاب أدراج الرياح ، فاتجهنا إلى البحث عن نسخة من هذا المطبوع ؛ لنحدد على ضوء ذلك إمكانية استمرارنا فيما بدأناه ، وكان من توفيق الله لنا أننا عثرنا على نسخة مجلدة ضمن مجموعة كتب في مكتبة محدث المدينة الجليل فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ، فلم نجد فيها أي جهد مبذول في تحقيقها ، مع كثرة الأخطاء والتصحيف فيها ، ولذا استقر العزم على مواصلة العمل والمضي في تحقيق الكتاب إلى نهايته ، وقد زاد من تصميمنا فضيلة الشيخ حماد بعد اطلاعه على خطة عملنا في تحقيق الكتاب .

ولكن الحيرة التي انجلت في الحصول على النسخة المطبوعة ، عادت لتطبق علينا من جهة أخرى بسؤال مُلحٍّ عن الأصل المخطوط الذي اعتمد عليه ناشروه ؛ حيث أنهم لم يصنعوا له مقدمة ، ولم يшиروا من قريب أو بعيد إلى مصدره ،

وشعرنا بأن عملنا سيكون ناقصاً ما لم نجد لهذا السؤال جواباً مقنعاً . وم كانت فرحتنا كبيرة عندما عثرنا على النص التالي في الترجمة التي كتبها المرحوم أحمد شاكر لابن كثير في مقدمة كتاب « عمدة التفسير » :

« السيرة (مختصرة) وقد طبعت بمصر . . . عن مخطوطة (مكتبة عارف حكمة) بالمدينة المنورة »^(١) . وبالتقصي الدقيق والمقابلة الحرفية ثبت أن المطبوع كان بالفعل صورة طبق الأصل عن المخطوطة التي بين أيدينا ؛ فيه أخطاؤها وتصحيفاتها ، وبياض الكلمات الساقطة بين العبارات والسطور .

ولعله يحق لنا بعد هذه الرحلة المضنية ، وبعد أن علمنا أن المطبوع اعتمد نفس مخطوطتنا ، وأنه لم يبذل فيه أي مجهود في تصحيحه وتحقيقه ، وتوضيح مشكلاته ، وأنه مضى على طبعته اليتيمة أمد بعيد ، فإننا نحسب أن سيكون لعملنا شرف إظهار الكتاب في الصورة العلمية اللائقة به ، وتوفيره بين أيدي طلاب العلم ، وعشاق السيرة النبوية المطهرة .

وكنا كتبنا في هامش الطبعة الأولى أننا عرفنا والكتاب مائل للطبع من خلال فهرس للمخطوطات وصل مؤخراً للمكتبة العامة في الجامعة الإسلامية بوجود مخطوطتين للكتاب في تركيا ، وقد يسر الله لنا الحصول على هاتين المخطوطتين اللتين تقدّم وصفها ، وسيظهر أثرهما العلمي في هذه الطبعة الجديدة للكتاب إن شاء الله تعالى .

وكان عملنا فيه على الشكل التالي :

١ - المقارنة بين النسخ وبخاصة بين « أ » و « ب » وإثبات الاختلافات والزيادات .

(١) عمدة التفسير ١ : ٢٥ .

٢ - تحقيق النص وتصحيحه شكلاً ومضموناً :

فمن حيث الشكل : ضبطنا بعض الكلمات بالحركات ، وتأكدنا من سلامة النصوص المنقولة في مصادرها المتوفرة بين أيدينا ؛ « كالدرر في اختصار المغازي والسير » لابن عبد البر . و « جوامع السيرة » لابن حزم . و « زاد المعاد » لابن القيم . و « السيرة النبوية » لابن هشام . و « البداية والنهاية » لابن كثير . كما أفادتنا كتب اللغة ، وكتب التراجم والأعلام .

ومن حيث المضمون : حرصنا على التأكد من وضوح معنى كل جملة في أداء المعنى المقصود ، واستقامة بنيتها على مقتضى الأسلوب العربي الصحيح ، وتحليصها من أي تصحيف لحقها أو خطأ ، وتصحيح كل معلومة وردت في حديث أو أثر ، وذلك بالرجوع إلى كتب الحديث المعتمدة ، وفي مقدمتها الكتب الستة .

٣ - ترجمة الأعلام ترجمة مختصرة ومفيدة ، وبخاصة المؤلفين ، مع ذكر بعض كتبهم والتعريف بالكتاب الخاص بالموضوع ؛ الذي أشار إليه ابن كثير أو أخذ منه . وقد نهمل تراجم بعض الأعلام المشهورين خشية التطويل ، كالبخاري ومسلم والشافعي . . . وبعض مشاهير الصحابة كأبي بكر وعمر . . . رضي الله عنهم . غير أننا ترجمنا لبعض الصحابة المعروفين ؛ لأن الخبر يقتضي ذلك ، أو لموقف هادف اغتناه من حياته للتأسي والاعتداء .

٤ - إيراد بعض الأحاديث الهامة التي يشير إليها ابن كثير ، وكذلك الحوادث الهامة التي يشير إليها هنا إشارة عابرة ، وقد وردت مفصلة في كتبه الأخرى ؛ كالتفسير والتاريخ .

٥ - تخريج الأحاديث ، وقد فضلنا أن نحدد الحديث في مصدره بذكر اسم الكتاب والباب ؛ ولم نتبع طريقة تحديد أرقام الأجزاء والصفحات ، لاختلاف الطبعات الموجودة بين أيدي الناس . واقتصرنا على تخريج الحديث في البخاري

في موضع واحد ، كما اقتصرنا على تخريج ما ذكره ابن كثير من عزو الحديث على كتاب واحد من كتب الحديث غير البخاري ومسلم ؛ فإذا قال : رواه الترمذي ، بادرنا إلى تخريجه في سنن الترمذي ، ولم نستقص وجوده في غيره ؛ إلا إذا كان ذكر ذلك يفيد في بيان درجته ، أو ورد هذا في كلام علماء التخريج والجرح والتعديل . ولم نأل جهداً في ذكر أقوال العلماء وأحكامهم على كل حديث لم يرد في البخاري ومسلم من حيث الصحة أو الضعف ، وقد أفادتنا كتب التخريج المشهورة في هذا الموضوع ؛ ككتاب « مجمع الزوائد » للهيتمي ، و « نصب الراية » للزيلعي ، و « الدراية » و « تلخيص الحبير » لابن حجر ، و « شرح المواهب اللدنية » للزرقاني . . وغيرها .

٦ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها وتحديد أرقامها في المصحف الشريف .

٧ - إيضاح بعض الألفاظ اللغوية .

٨ - التعليق على بعض الآراء والمواقف بما يتناسب مع روح العصر والمنطق والحق ، مما يعطي بعض المواقف فاعلية وحركة .

٩ - وضع عناوين للفصول .

١٠ - وضع فهرس علمية .

١١ - التزمنا في طباعة الكتاب الرموز والمصطلحات التالية :

(/) وترمز إلى بداية الصفحة في المخطوطة ، وبجانبيها على الهامش رقمها في المخطوط مع حرف « أ » الذي يرمز إلى وجه الورقة ، أو حرف « ب » الذي يرمز إلى ظهرها .

» « وهذه الأقواس خاصة بالأحاديث النبوية .

﴿ ﴾ وهذه الأقواس خاصة بالآيات القرآنية .